Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يجوز لنا أن نفصل فن الكتابة عن فن الخطابة

نعم إن الكتابة تتكىء على قدر من الثقافة الفكرية، ولكن الثقافة ليست كل مقومات الكتابة[1] ومن ناحية أخرى: هل خلا العصر الجاهلي من معالم المعرفة بالكلية؟ وهل انفرد العرب في التاريخ القديم ـ كما يقول زكي مبارك ـ بالتخلف في ميادين العقل والمنطق والخيال؛ فلا يكون لهم نثر فني بعد الميلاد بخمسة قرون، ولغيرهم مثل ذلك قبل الميلاد بخمسة قرون[2]؟

ومهما تمادينا في الشك فيما وصلنا من نصوص جاهلية فماذا نقول في القرآن الكريم وهو من النثر الفني لا محالة ودليل لا يجحد على وجوده قبل الإسلام[3]؟ ولسنا مع القائلين بأنه ليس بشعر وليس بنثر وإنما هو قرآن. . . نعم هو قرآن في قوة الأداء وبلاغة التعبير، لكن العبارة نفسها ـ وهي مناط الحكم ـ من صميم النثر في أسمى درجاته الفنية وسمو الدرجة لا يخرجه عن دائرة النثر. وإلا فكيف يكون معجزاً لأرباب البيان وهو يجول في ميدان لم يطرقوه؟ ترى. . . إذا عجزنا عن مجاراة الجاحظ في رسائله أو البديع في مقاماته. . ألا يكون ذلك نثراً مع سمو منزلته وعجزنا عن مساماته؟

وإذاً فليس من الحكمة أن نشك فيما وصلنا من هذا التراث، بل الأولى أن نؤمن بضياع الكثير من نصوصه، وما ذلك على طول العهد بغريب، بل الغريب أن يجاور العرب الفرس ويعيش بعضهم في بلاط الأكاسرة زمنا ليس بالقليل، بين القماطر والدفاتر والمحابر ولا يكون لهم نثر أدبي.

**وخاتمة القول** : إن ما وصلنا من هذا التراث ـ فضلاً عن القرآن الكريم ـ دليل على ما كان للعرب من وجود أدبي في العصر الجاهلي حتى على افتراض الشك فيه ووضعه عليهم في عصور لاحقة. . إذ الوضع لا يكون إلا على مثال يحتذى، يحمل نفس الطابع ، وله نفس السمات . . .

---

(١) أنظر ما قررناه في المدخل ص ٧

(٢) النثر الفني جـ ١/ ٣٤

(٣) المرجع السابق ص ٣٨.